

حادثة سحر النبي صلى الله عليه وسلم

زياد عواد أبو حماد

قسم أصول الدين، كلية الشريعة، جامعة مؤتة، الأردن

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى جمع الروايات في حادثة سحر النبي صلى الله عليه وسلم ودراستها مع أقوال المثبتين والنافين لها، وقد تبين أن الحديث ثابت في السنة الصحيحة، وأن الذين ردوه اعتمدوا على العقل أولاً، وأن الأدلة التي جاءوا بها لا تقوى على رده، وأن السحر الذي حصل إنما في جانب خاص من جسده وهو حبسه عن النساء فقط، وهذا الأمر لا يؤثر على العقل ولا على تبليغ الرحي، والعصمة مانعة من ذلك .

Abstract

This study aims at collecting the narratives concerning the case of the magic spell that was inflicted upon Prophet Mohammed (Peace Be Upon Him). It aims at investigating this case from the available literature that mentions it as there are those who prove it and those who deny it. It has been shown that al-Hadeeth concerning this case is confirmed in al-sunnah al-sahiiha and those who reject it depend mainly on logical reasoning. Moreover, the evidence that they provide is not enough to reject it and that the magic spell incidence only temporarily made the Prophet (P.B.U.H) impotent.

This matter did not affect his mental ability or communication with the messenger "AL-wahii".

المقدمة:

إن الحمد لله تعالى أحمدته وأستعينه وأستغفره وأستهديه، وأعوذ بالله من شرور نفسي وسيئات أعمالي، وأصلي وأسلم على سيد الخلق أجمعين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، وعلى من سار على نهجهم إلى يوم الدين وبعد .

فقد دون الحديث النبوي الشريف في القرون الثلاثة الأولى وهي خير القرون، واصطلح علماء الأمة شروطاً يعرف بها الصحيح من الضعيف من الأحاديث، وهي متفق عليها ولا خلاف بينهم في ذلك، فلذا انطبقت هذه الشروط على حديث ثبتت صحته ووجب الأخذ به ولا يجوز رده بأي حال من الأحوال، لأن هذا الثبوت ما حصل إلا بعد تطبيق الشروط عليه من اتصال السند وعدالة الرواة وضبطهم وعدم شذوذ الرواية وعدم وجود علة فيها سواء في سندها أو متنها، وأجمعت الأمة على أن الصحيحين هما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى، وأن صاحبيهما قد جازا القنطرة .

ومع هذا وجدنا من يطعن بالأحاديث الصحيحة، ويطعن بأحاديث في الصحيحين، بحجة التصادم مع كتاب الله أحياناً أو مع العقل حيناً آخر، ومثل هذا لم يكن إلا من فئة واحدة من الأمة وهي الفئة التي أطلقت العنان للعقل ليحكم على الأشياء، وأعطته القطع في حكمه، والظن في الحكم من خلال الطرق القاصرة عن التواتر، ومنها حديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم فقد أنكرته تلك الفئة ورددته، والراية التي رفعت في ذلك تزیه النبي صلى الله عليه وسلم والشرع، وتنقية السنة من الأحاديث المبنية على الخرافة والتصادم مع العقل، وقد تصدى لهؤلاء كثير من العلماء في القدم والحديث.

وهذا البحث أحاول أن أجمع من خلاله الروايات التي وردت في هذه المسألة من مصادرها المتفرقة لأقف على النص من مصدره الأصلي لا من أفواه الذين أنكروا النص فرووه على حسب ما يتوافق مع أهوائهم، ثم أستخرج من النصوص ما تحتمله من دلالات، مستشهداً بأقوال العلماء والنصوص الأخرى، لنقف على ما يحتمله النص بعيداً عن الهوى، ثم أجمع أقوال المنكرين لأستخرج منها الأسباب التي دعتهم للرد ثم مناقشتها والرد عليها بموضوعية ومنهجية علمية، فجاء هذا البحث في أربعة مباحث:

المبحث الأول : السحر معناه وثبوته

١- المعنى اللغوي والاصطلاحي .

ب- ثبوت السحر وآراء العلماء في ذلك.

المبحث الثاني : الروايات الواردة في سحر النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثالث: ما يستفاد من هذه الروايات بما يخدم البحث.

المبحث الرابع: الناقدون لرواية السحر، أدلتهم، والمناقشة .

ثم الخاتمة.

سائلاً المولى سبحانه وتعالى أن يجنّبني التعصب للهوى وأن يسدّدني إلى الصواب، وأن يعينني على

إحقاق الحق إنه سميع مجيب .

والحمد لله رب العالمين

المبحث الأول

السحر معناه وثبوته

أولاً : السحر في اللغة والاصطلاح:

السحر: الأخذ، وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر، والجمع أسحار وسحور .
والسحر: البيان في فطنة، كما في الحديث " إن من البيان لسحراً " (١)، قال أبو عبيد: كأن المعنى والله أعلم، أنه من ثنائته أنه يمدح الإنسان فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله، ثم يذمه فيصدق فيسه حتى يصرف القلوب إلى قوله الآخر، فكأنه سحر السامعين بذلك .

قال الأزهري: وأصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، فكأن الساحر لما أرى الباطل في صورة الحق، وخيل الشيء على غير حقيقته، قد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه، وتقول العرب للرجل ما سحرك عن وجه كذا وكذا، أي ما صرفك عنه، والعرب إنما سمّت السحر سحراً، لأنه يزيل الصحة إلى المرض، وإنما يقال سحره أي أزاله عن البغض إلى الحب (٢).

وأما السحر في الاصطلاح، فقد عرفه ابن عابدين فقال : السحر : علم يستفاد منه حصول ملكة نفسانية يقتدر بها على أفعال غريبة لأسباب خفية (٣).

والعلاقة بين هذا التعريف والمعنى اللغوي، أن السحر علم يستطيع الساحر من خلاله أن يخيل للناس أنه صرف الأشياء عن حقيقتها، أو يوهم المسحور بأشياء لا حقيقة لها، بحيث يسمح هذا التصرف غريباً.
ثانياً: ثبوته:

قال القرطبي : (ذهب أهل السنة إلى أن السحر ثابت وله حقيقة، وذهب عامة المعتزلة وأبو إسحاق الإستراباذي من أصحاب الشافعي إلى أن السحر لا حقيقة له، وإنما هو تمويه وتخيل وإيهام لكون الشيء على ما هو عليه، وأنه ضرب من الخفة والشعوذة، كما قال تعالى (يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) (٤) ولم يقل تسعى على الحقيقة، وقال أيضاً (سحروا أعين الناس) (٥) وهذا لا حجة فيه، لأننا لا ننكر أن يكون التخيل وغيره من جملة السحر، ولكن ثبت وراء ذلك أمور جوّزها العقل وورد بها السمع، فمن ذلك ما جاء في هذه الآية من ذكر السحر وتعليمه، ولو لم يكن له حقيقة لم يمكن تعليمه، ولا أخبر تعالى أنهم يعلمونه الناس فدلّ على أن له حقيقة، وقوله تعالى (وجاءوا بسحر عظيم) (٦)، وسورة الفلق، مع اتفاق المفسرين على أن سبب نزولها ما كان من سحر لبيد بن الأعصم، وهو مما خرّجه البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما حلّ السحر " إن الله شفاني " والشفاء إنما يكون برفع العلة وزوال المرض، فدلّ على أن له حقاً وحقيقة، فهو مقطوع به بإخبار الله تعالى

ورسوله على وجوده ووقوعه، وعلى هذا أهل الحل والعقد الذين ينعقد بهم الإجماع، ولا عزة مع اتفاقهم بمخاللة المعتزلة ومخالفتهم أهل الحق (٧).

ومن قال بأن السحر لا حقيقة له وإنما هو تخيل، أبو جعفر الاستربادي من الشافعية، وأبي بكر الرازي من الحنفية، وابن حزم الظاهري، ويرى ابن القيم والنووي بأن له حقيقة، وعزاه للجمهور، وقال: ابن القيم والنووي: وعليه عامة العلماء، وعليه يدل الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة (٨). وعلى هذا الرأي ابن قدامة إذ قال: ومنه ما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها، وما يفرق بين المرء وزوجه، وما يُغض أحدهما إلى الآخر، أو يُحبب بين اثنين (٩).

قال ابن حجر: (ومحل النزاع هل يقع بالسحر انقلاب عين أو لا؟ فمن قال: إنه تخيل فقط منع ذلك، ومن قال: إن له حقيقة اختلفوا؛ هل له تأثير فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعاً من الأمراض، أو ينتهي إلى الإحالة بحيث يصير الجمار حيواناً وعكسه؟ فالذي عليه الجمهور هو الأول، وذهبت طائفة قليلة إلى الثاني، فإن كان بالنظر إلى القدرة الإلهية فمسلم، وإن كان بالنظر إلى الواقع فهو محل الخلاف، فإن كثيراً ممن يدعي ذلك لا يستطيع إقامة البرهان عليه) (١٠).

نخلص من هذا أن السحر ثابت في الكتاب والسنة، والأدلة عليه كثيرة، ولا مجال لإنكارها، أو تأويلها ولي عنقها، وأن أثر السحر حقيقة في المعنويات والمشاعر، وأن تأثيره يغير المزاج في المحل الذي قصد من الساحر، فهو نوع من الأمراض العارضة التي تحصل للناس، وأنه لا يقلب الحقائق عن وجهها، وأن تأثيره بإذن الله.

المبحث الثاني

الروايات الواردة في هذه المسألة

أولاً- رواية عائشة:

١- روى البخاري من طريق ابن جريج عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر، حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، قال سفيان - أحد رواة الحديث وهو ابن عيينة - وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا، فقال يا عائشة: أعلمت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان ففعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن أعصم رجل من بني زريق حليف لليهود كان منافقاً، قال: وفيهم؟ قال: في مشط ومشاقة، قال: وأين؟ قال: في حف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان، قالت: فأتى النبي صلى الله عليه وسلم البئر حتى استخرجه،

فقال : هذه البئر التي أُرِيْتُهَا، وكان ماءها تُقَاعَةُ الْحَنَاءِ، وكان نخلها رؤوس الشياطين، قال : فاستخرج، قالت فقلت : أفلا، أي تنشرت فقال : أما والله فقد شفاني، وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً". (١١)

وشارك ابن جريج في الرواية عن هشام :

٢- سفيان ابن عيينه (١٢)، فقد روى عن هشام مباشرة، زيادة على روايته عن ابن جريج عن هشام السابقة، وفي روايته قالت : مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتي، وفيها قال : إن الله أفتاني في أمر استفتيته فيه.

٣- عيسى بن يونس (١٣)، وأبو أسامة حماد بن أسامة (١٤)، وابن غير (١٥)، والليث (١٦) وفيها قالت : حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، وفيه أشعرت أن الله أفتاني فيما فيه شفائي؟

٤- وأنس بن عياض (١٧)، وهيب (١٨)، ويحيى بن سعيد (١٩) قالت : حتى إنه ليخيل إليه أنه قد صنع الشيء وما صنعه، وأنه قال : أشعرت أن الله أفتاني؟

٥- ومعمر (٢٠) وفيها قالت : لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر يرى أنه يأتي ولا يأتي، وفيها قال : أي عائشة ألم ترين أن الله أفتاني فيم استفتيته؟

٦- مرجي بن رجاء (٢١)، قالت : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر فدعا ربه ثم قال : أما علمت أن الله استحباب لي....؟

ثانياً- رواية زيد بن أرقم :

قال : سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود، قال : فاشتكى، فأتاه جرير بن مزعل عليه بالمعوذتين، وقال إن رجلاً من اليهود سحرك، والسحر في بئر فلان، قال : فأرسل علياً فجاء به، قال : فأمره أن يحل العقد وتقرأ آية، فجعل يقرأ ويحل، حتى قام النبي صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقل، قال : فما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك اليهودي شيئاً مما صنع به، قال ولا أراه في وجهه.

وهذه رواية أحمد بن عبد الله بن يونس عن أبي معاوية عن الأعمش عن يزيد ابن حيان عن زيد (٢٢)، ورواه أيضاً أحمد بن حنبل (٢٣) وهناد بن السري (٢٤) وأبو بكر بن أبي شيبة (٢٥) عن أبي معاوية به ولم يذكروا في روايتهم المعوذتين، ولا اسم الصحابي الذي أرسله، وإنما كان مبهماً، إلا أنهم ذكروا أنه اشتكى أياماً . وشارك أبو معاوية الرواية عن الأعمش سفيان الثوري (٢٦)، فذكر بدل يزيد ثمامة المحلبي، والهواة كلهم ثقات، والثوري وأبو معاوية (محمد بن خازم) كلاهما مقدم في حديث الأعمش واختلف من يقدم على الآخر (٢٧) وأصحاب معاوية كلهم ثقات.

ثالثاً : رواية ابن عباس:

عن ابن عباس قال: مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عن النساء وعن الطعام والشراب، فهبط عليه ملكان وهو بين النائم واليقظان فجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله، ثم قال أحدهما لصاحبه: ما شكواه؟ قال: طُبُّ، يعني سحر، قال: ومن فعله؟ قال: لبيد بن أعصم اليهودي، قال: ففسي أي شيء جعله؟ قال: في طلعة، قال: فأين وضعها؟ قال: في بئر ذروان تحت صخرة، قال: فما شفاؤه؟ قال: تنزح البئر وترفع الصخرة وتستخرج الطلعة، وارتفع الملكان فبعث نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى علي رضي الله عنه وعمار فأمرهما أن يأتيا الركي فيفعلا الذي سمع، فأتياه وماؤها كأنه قد خضب بالحناء، فنزحها ثم رفا الصخرة فأخرجتا طلعة فإذا بها إحدى عشرة عقدة، ونزلت هاتان السورتان؛ قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد وانتشر النبي صلى الله عليه وسلم للنساء والطعام والشراب (٢٨).

وهذه رواية ابن سعد من طريق جوير عن الضحاك عن ابن عباس، والضحاك هو ابن مزاحم الهلالي قال ابن حجر: صدوق كثير الإرسال (٢٩) وهو لم يلق ابن عباس (٣٠)، وجوير هو ابن سعيد وهو ضعيف جداً (٣١). قال ابن حجر: رواه البيهقي في الدلائل بسند ضعيف من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وعند ابن سعد سنده منقطع (٣٢). وفي رواية ابن عباس زيادة عما في رواية عائشة، أنه سحر عن الطعام والشراب أيضاً، وفيها أن المعوذتان نزلتا بسبب ذلك.

رابعاً: رواية أنس:

عن أنس بن مالك قال: صنعت يهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً تريد شراءً، فأصابه من ذلك وجع شديد، فأتاه جبريل عليه السلام بالمعوذتين فعوذه بهما، وقال بسم الله أريقك من كل شيء يؤذيك، من كل عين ونفس حاسد، الله يشفيك، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه (٣٣).

خامساً- وروى عبدالرزاق عن معمر عن الزهري عن ابن المسيب وعروة بن الزبير أن يهود بني زريق سحروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعلوه في بئر حتى كاد النبي صلى الله عليه وسلم يغض بصره، ثم دله الله على ما صنعوا، فأرسل إلى البئر فانتزعت العقد التي فيها السحر، قال الزهري: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سحرتني يهود بني زريق (٣٤).

ورواه الطبري قال: حدثني يونس نا ابن وهب نا يونس عن ابن شهاب به (٣٥) و ابن سعد عن محمد بن عمر حدثني محمد بن عبد الله عن الزهري (٣٦) والرواية مرسله، ويونس هو ابن يزيد الأيلي، ثقة إلا أن في روايته عن الزهري وهماً قليلاً (٣٧) ومحمد بن عبد الله هو ابن مسلم بن عبيد الله الزهري، ابن أخي الزهري، صدوق له أوهام (٣٨).

سادساً: وروى عبدالرزاق عن معمر عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر قال: حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة فينما هو نائم أتاها ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال أحدهما لصاحبه: سحر محمد، فقال الآخر وسحره في بئر أبي فلان، فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم أمر بذلك السحر فأخرج من تلك البئر (٣٩) ويحيى ثقة وكان يرسل، مات قبل المائة وقيل بعدها (٤٠)، قال الذهبي: حدث عن أبي ذر وعمار بن ياسر مرسلاً، وعن عائشة وأبي هريرة وابن عباس وابن عمر وعدة، وقرأ القرآن عن أبي الأسود الدؤلي (٤١). وقال: متفق على حديثه وثقته (٤٢) والحديث رواه ثقات إلا أنه مرسل.

سابعاً: روى ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر حدثني أبو مروان عن إسحاق بن عبد الله عن عمر بن الحكم قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم، جاءت رؤساء يهود الذين بقوا في المدينة ممن يظهر الإسلام وهو منافق إلى لبيد بن الأعصم اليهودي، وكان حليفاً في بني زريق وكان ساحراً قد علمت ذلك يهود أنه أعلمهم بالسحر والسموم، فقالوا له يا أبا الأعصم أنت أسحر منا، وقد سحرنا محمداً فسحره منا الرجال والنساء، فلم نصنع شيئاً، وأنت ترى أثره فينا وخلافه ديننا ومن قتل منا وأجلى، ونحن نجعل لك على ذلك جعلاً على أن تسحره لنا سحراً ينكوه، فجعلوا له ثلاثة دنائير على أن يسحر النبي صلى الله عليه وسلم، فعمد إلى مشط وما يمشط من الرأس من الشعر فقعد فيه عقداً وتفل فيه تفلأ، وجعله في جب طلعة ذكر ثم انتهى به حتى جعله تحت أروعفة البئر، فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراً أنكره حتى يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله وأنكر بصره حتى دلّه الله عليه. ثم جاء في الرواية أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاه وأخبره أن الله دلّه عليه. قال ابن سعد: قال إسحاق بن عبد الله فأخبرت عبدالرحمن بن كعب بن مالك بهذا الحديث فقال إنما سحره بنات أعصم أخوات لبيد وكن أسحر من لبيد وأخبت، وكان لبيد هو الذي ذهب به فأدخله تحت أروعفة البئر، فلما عقدوا تلك العقد أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الساعة بصره، ودس بنات أعصم إحداهن فدخلت على عائشة فخبرتها عائشة أو سمعت عائشة تذكر ما أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بصره، ثم خرجت إلى أخواتها وإلى لبيد فأخبرتهم، فقالت إحداهن إن يكن نبياً فسبحر، وإن يك غير ذلك فسوف يذله هذا السحر حتى يذهب عقله، فيكون بما نال من قومنا وأهل ديننا فدأه الله عليه (٤٣) والحديث مرسل وفيه إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة وهو متروك الحديث (٤٤).

المبحث الثالث

ما اشتملت عليه الروايات من دلالات

بما يخدم البحث وأقوال العلماء في ذلك

من خلال استعراض الروايات السابقة الواردة في هذه المسألة، يمكن أن نستخلص ما يلي:

١. أنه قد سحر عليه الصلاة والسلام، وهذا ثابت في الصحيحين وغيرهما، وأن الروايات في ذلك مشهورة، فقد رويت موصولة عن عائشة وابن عباس وزيد بن أرقم وأنس، ومرسلة من طرق أخرى .
٢. أن السحر لم يتسلط على عقله وإنما على بعض جوارحه، وأن ما حصل له نوع من المرض العارض الذي لا يخلو منه أي إنسان، ولذا عبر عنه ابن عباس فقال : مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال هو " إن الله شفاني " والشفاء لا يكون إلا من مرض.

قال القاضي عياض : (السحر مرض من الأمراض، وعارض من العلل، يجوز عليه صلى الله عليه وسلم كأنواع الأمراض، مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته، وأما كونه يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله، فليس في هذا ما يدخل عليه داخل في شيء من صدقه، لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا، وإنما هذا فيما يجوز طروءه عليه في أمر دنياه التي لم يبعث بسببها، ولا فضل من أجلها، وهو فيها عرضة للآفلة كسائر البشر، فغير بعيد أنه يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له، ثم ينجلي عنه كما كان) (٤٥). وإلى هذا المعنى أشار ابن القيم أيضاً (٤٦).

ويدل على هذا ما جاء في الروايات من قوله (يرى) ؛ فقد جاءت بالضم والفتح، قال الداودي: فهي بالضم أي يظن، وقال ابن التين: يرى بفتح أوله، قال ابن حجر: وهو من الرأي لا من الرؤية، فيوجد إلى معنى الظن، ونقل عن بعض العلماء أنه لا يلزم من أنه كان يظن أنه فعل الشيء ولم يفعله أن يجزم بفعله ذلك، وإنما يكون ذلك من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت (٤٧) قلت: ويؤيده أيضاً قولها في الحديث يُخِيلُ إليه، قال الرازي : وَخِيلَ إليه أنه كذا، على ما لم يُسَمِّ فاعله من التخيل والوهم، وَخِيلَ له أنه كذا وتخيل أي تشبه. (٤٨) ويؤيده أيضاً رواية حتى أنكر بصره، وأخرى حتى كاد ينكر بصره، فلا تعني أنه يرى الأشياء على غير حقيقتها، قال ابن حجر : (أي صار كالذي أنكر بصره، بحيث أنه إذا رأى الشيء يخيل أنه على غير صفته، فإذا تأمله عرف حقيقته) (٤٩).

قال القاضي عياض : (فظهر بهذا أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه، لا على تمييزه ومعتقده) (٥٠). قال ابن حجر : (ووقع في مرسل عبد الرحمن بن كعب عند ابن سعد فقالت أخت لبيد بن الأعصم: إن يكن نبياً فسيخبر وإلا فسيذهله هذا السحر حتى يذهب عقله، قال فوق الشق الأول، كمل

في هذا الحديث الصحيح - أي حديث عائشة - وقال: ويؤيد جميع ما تقدم أنه لم ينقل عنه في خبر من الأخبار أنه قال قولاً فكان بخلاف ما أخبر به (٥١). قال الشيخ محمد الحامد: (والذي دلت الدلائل عليه يبين أنه كان قاصراً على جسده الشريف، أما عقله المنيف فإنه أعز وأجل من أن يناله شيء منه، أو أن يرتقي إليه، لأن المعجزة قرآناً وغيره دلت على سلامة تفكيره وصحة عقله، وإلا لبطل الوثوق بالوحي والنصوص، وهذا فساد لا حدود له، وما دلت المعجزة عليه فخلافه باطل ومردود معاً، أما أن يصاب عليه وآله الصلاة والسلام في جسمه بما لا ينفر الناس منه، ولا يؤدي إلى نقص في مرتبته العلية فحائز لا شيء فيه، ككل الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام) (٥٢) ويجوز أن يؤثر السحر على النبي صلى الله عليه وسلم، أما جواز الإضرار به فلا يجوز لكونه معصوماً، والتأثير غير الضرر لكون دواعي البشرية تتأثر بعوامل الأقدار، والبشرية في الرسل متأثرة بدواعي العوامل والأقدار، كالأكل والشرب والنوم والتبول وغيرها، لكن لا يجوز فيها الضرر لكونهم عرائس الحضرة (٥٣).

قلت: وهل يعقل أن يتكلم النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف ما أمر به ثم يسكت الوحي على ذلك، وهو الذي نزل بعثته في أمر ابن أم مكتوم، فقال تعالى (عبس وتولى، أن جاءه الأعمى، وما يدريك لعله يزكى، أو يذكر فتتفعه الذكرى، أما من استغنى، فأنت له تصدى، وما عليك ألا يزكى، وأما من جاءك يسعى، وهو يخشى، فأنت عنه تلهى) (٥٤) ونزل بقوله (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض) (٥٥) ونزل بتصويب أمور لا مجال لذكرها، وأين نحن من قول الله تعالى (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) (٥٦) وقوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (٥٧) والذكر؛ الوحي المتلو وغير المتلو، في زمن النبوة وبعدها، ولذا فليطمئن الحريصون على الشريعة بأن هذا من المستحيلات في أمر النبوة.

٣. أن السحر الذي وصفنا حاله، لم يكن في الأمور العامة، وإنما كان متعلقاً في قضايا خاصة، وهي أنه سحر عن زواجه بعدم القدرة على إتيانها، كما في الروايات عن عائشة رضي الله عنها، وعن النساء والطعام والشراب، كما في رواية ابن عباس، بل وجاء في رواية عبد الرزاق من طريق يحيى بن معمر المرسل أنه حبس عن عائشة، وقال أيضاً: وحبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة خاصة حتى أنكر بصره (٥٨)، إذن فما حصل له كان محدوداً ويكاد أن ينحصر في داخل بيوته عليه الصلاة والسلام، بل وفي تصرف خاص وهو إتيان الزوجات، بل ولعله خاص بعائشة رضي الله عنها كما ورد في رواية يحيى السالفة الذكر، والروايات عن عائشة تفسر بعضها بعضاً، ففي رواية قالت "حتى كان يرى أنه يأتي النسء ولا يأتيهن" والثانية: "يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتي" والثالثة: "يرى أنه يأتي ولا يأتي" الرابعة: "يخيل

إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله" الخامسة : " حتى إنه يخيل إليه أنه قد صنع الشيء وما صنعه ". فلاحظ أن الروايات الثلاثة الأولى واضحة ومعناها أنه لا يستطيع مجامعة أهله وقولها: في الرابعة يفعل الشيء، والخامسة قد صنع الشيء، يكون محمولاً على ما سبق، وهو من باب المعارض، لاستحيائها من ذكر ذلك، قال المازري : (قال بعض الناس، إن المراد بالحديث أنه صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه وطئ زوجاته ولم يكن وطأهن، وهذا كثيراً ما يقع تخيله للإنسان في المنام، فلا يبعد أن يخيل إليه في اليقظة). قال ابن حجر معلقاً على ذلك: (وهذا قد ورد صريحاً في رواية ابن عيينة والحميدي (٥٩). وعلى هذا فسر الحديث القاضي عياض (٦٠) وابن القيم (٦١) وابن قدامة (٦٢) والشوكاني (٦٣) وغيرهم .

عندها يمكن أن نفهم الحديث؛ على أنه عليه الصلاة والسلام قد ربط عن بعض زوجاته، فكان يرى أنه يستطيع المجامعة لما يرى من قدرته على ذلك، حتى إذا اقترب منهم لم يقدر من فتور حاله عند الإقتراب، وهذا يحصل كثيراً من السحرة الآن فقد يربطون رجلاً عن زوجته، ويرى هذا المربوط يمارس حياته الاعتيادية ولا يستطيع أحد أن يكتشف ما به، إلا إذا حدث هو أو زوجته بذلك، وقد يسحر عن الطعام أيضاً، فلا يجد في نفسه ميلاً للطعام وهذا لا يؤثر على تصرفاته الاعتيادية أيضاً أو على تفكيره .

٤. أن السحر كان بعد رجوعه من الحديبية، وكان رجوعه في شهر ذي الحجة من السنة السادسة من الهجرة (٦٤) أما مدته ففي رواية الإمام أحمد من طريق وهيب عن هشام أنه ستة أشهر، وقال ابن حجر: أنه وقع له أربعين ليلة كما في رواية أبي ضمرة عن هشام عند الإسماعيلي، قال: ويمكن الجمع بأن تكون الستة أشهر من ابتداء تغير مزاجه والأربعين يوماً من استحكامه، وقال: بأن رواية الستة أشهر وردت بسند موصول صحيح وهي المعتمد (٦٥). وفي بعض الروايات أياماً، وفي بعضها سنة، وفي بعضها قال كذا وكذا، والاختلاف في مدته دلّ على أنه ليس له أثر واضح خارج بيوته صلى الله عليه وسلم، حتى أننا نرى اختلاف الروايات عن عائشة، وهذا يدل على أنها لم تعرف البداية وإنما عرفت النهاية، أو بداية شكواه صلى الله عليه وسلم من ذلك، ويدل على أن الصحابة لم يشعروا اختلافاً على مزاجه صلى الله عليه وسلم وتصرفاته، وأنه أمر خاص لم يطلع عليه أحد إلا بعض زوجاته، وحتى عائشة ربما لم تعرف بدايته ومن هنا جاء الاختلاف، وهذا يدل على أن أثر السحر لم يتعد ما ذكر من القضايا كالتبليغ كما يدعي منكرو الحديث، وإلا لكان الأمر شائعاً معروفاً للجميع، والذي يظهر والله أعلم أنهم سحروه بعد رجوعه من الحديبية كما ورد في رواية ابن عباس، فأطلعه الله عليه قبل خروجه إلى خير، وكان خروجه إلى خير في شهر جمادى الأولى من العام التالي، فعمدوا إلى وضع السم له في كنف شاة والقصد التخلص منه، لعلمهم بأن السحر قد كشف، فعلى هذا فإن السحر كان أقل من ستة أشهر، فهم لم يعمدوا إلى سمه

إلا بعد تأكدهم من نجاته من السحر، وذلك لظهور القصد في كلتا الحالتين، ففي سحره قالت من سحرته: إن يكن نبياً فسيخبر، وإن يكن غير ذلك فسوف يذله السحر حتى يذهب عقله، وكذلك قالوا بعد سمه: إن كان نبياً فسوف يخبر وإن كان غير ذلك تتخلصوا منه .

٥. أن الله عز وجل أطلعه عليه، وهذا من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم وتكريم الله له، فابتلاه فترة من الزمان، ثم أنزل عليه الشفاء من عنده، فأُنزل المعوذتان، وهذا واضح من رواية زيد بن أرقم وابن عباس وأنس .

وبعد هذا الاستعراض يمكن أن نخلص إلى ما يلي: أن النبي صلى الله عليه وسلم قد سحر وهذا ثابت في الروايات الصحيحة، وأن السحر كان يربطه عن النساء وعدم ميله للطعام والشراب كما جاء في بعض الروايات، وأن هذا النوع من السحر لا تأثير له على العقل والروح، ولا على التصرفات البشرية الاعتيادية، وهو مألوف بين الناس ولا يكاد ينكر، وأن هذا الأمر كان محصوراً في بيوتته، ولم يعلم به الصحابة إلا بعد كشف الله له، وأن الصحابة لم يروا تغيراً على تصرفاته صلى الله عليه وسلم، وأن الله قد ابتلاه به فترة من الزمان ثم عافاه منه بأن أنزل عليه الشفاء من عنده .

المبحث الرابع

النافون للحديث وأسبابهم والرد عليهم

وقد رد هذا الحديث عدد من العلماء في القديم والحديث، ومن أبرز من رده من المتقدمين المعتزلة، منطلقين من عدم إثباتهم للسحر أصلاً، ومن المعاصرين الشيخ محمد عبده، وتلميذه محمد رشيد رضا، والشيخ المراغي، وسيد قطب، ومحمد مغنية، والدكتور عبدالعزيز الحياط، وغيرهم ممن سار على نهجهم . ويمكن إجمال أسبابهم لرد الحديث والرد عليهم بما يلي:

١- الطعن بالرواية:

وقد طعن بالرواية المعتزلة لأنها تخالف العقل والنظر (٦٦). قال الجصاص : بأنها من وضع الملحدتين، ثم عاد وقال: وجائز أن المرأة اليهودية سحرته ظناً منها بأن ذلك يعمل في الأجساد (٦٧). وقد وصف الشيخ محمد عبده من صدق الحديث وأخذ به بالأعمى، وأنه لا يعقل النبوة (٦٨). وكذا تلميذه الشيخ محمد رشيد رضا ضعف الحديث وقال لا يؤخذ به ولو ذكر في كتب الصحاح، واعتبره مما جاز على المسلمين في غفلتهم، وأيده الدكتور الحياط بقوله: بأن الرواية سندها صحيح، ولكنني أنفي هذه الرواية ولا أقبلها (٦٩).

ويمكن الرد بما يلي :

١- إن هذه الألفاظ التي يحكم بها العلماء على الحديث لا تتوافق مع قواعد المحدثين، فلا يمكن أن يكون الحديث موضوعاً وجائز الورد في نفس الوقت، فالحكم بالوضع نفي للورد، وتأويل الرواية لا يمكن أن ينقلها من الوضع إلى إمكانية الورد.

٢- كيف يمكن أن يحكم على الرواية بالوضع أو الضعف وقد ذكرت في كتب الصحاح ومن أجلها صحيح البخاري وصحيح مسلم وهما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى بإجماع الأمة وممن رواه الإمام أحمد والنسائي وابن أبي شيبة والإمام الشافعي وابن ماجة وإسحاق بن راهويه والبيهقي وابن وابن سعد وعبد الرزاق وغيرهم .

٣- ثم إن الحديث مشهور فقد رواه من الصحابة أربعة:

عائشة رضي الله عنها رواه من طريقها هشام بن عروة وعنه أحد عشر من الثقات من أمثال ابن عينة وابن جريج والليث بن سعد وعيسى بن يونس ويحيى بن سعيد وغيرهم.

وزيد بن أرقم روى من طريق أبي معاوية والأعمش وعنه الإمام أحمد وأبو بكر بن أبي شيبة وهنلد بن السري، وشارك الأعمش الثوري .

و ابن عباس وأنس بن مالك، وروي الحديث مرسلأ عن ابن المسيب وعروة بن الزبير والزهرري ويحيى بن معمر

٤- وهل يمكن أن يغفل هذا العدد الكبير من الرواة ويجوز عليهم الحديث، وفي أي طبقة كانت هذه الغفلة ؟ أم في طبقة الصحابة ؟ أم من بعدهم من التابعين ؟ أم من بعدهم من أمثال البخاري ومسلم وأحمد ؟ وإذا أجزنا الغفلة على الأمة وعلمائها في هذه الرواية يمكن أن نجيزها في روايات أخرى وعندها يمكن أن نسقط كثيراً من الأحكام، وهذا يززع ثقة الأمة بدينها وبكل ما نقل لها وعلمائها والأجيال التي لها الفضل الكبير على الأمة.

٥- يقول ابن القيم: وهذا الحديث ثابت عند أهل العلم بالحديث، متلقى بالقبول بينهم لا يختلفون في صحته، وقد اعتاص على كثير من أهل الكلام وغيرهم، وأنكروه أشد الإنكار، وقابلوه بالتكذيب، وصنف بعضهم فيه مصنفاً مفرداً، حمل فيه على هشام وكان غاية ما أحسن القول فيه أن قال : غلط، واشتبه عليه الأمر، ولم يكن من هذا شيء . وقال : وهذا الذي قاله هؤلاء مردود عند أهل العلم، فإن هشاماً من أوثق الناس، ولم يقدح فيه أحد من الأئمة بما يوجب رد حديثه، فما للمتكلمين وما لهذا الشأن ؟ وقد رواه غير هشام عن عائشة، وقد اتفق أصحاب الصحيحين على

تصحیح هذا الحديث، ولم يتكلم فيه أحد من أهل الحديث بكلمة واحدة، والقصة مشهورة عند أهل التفسير والسنة والحديث والتاريخ والفقهاء، وهؤلاء أعلم بأحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيامه من المتكلمين (٧٠). وقال: ولا حيلة هذا الحديث كذايين ولا متهمين ولا معادين لرسول الله صلى الله عليه وسلم (٧١).

٢- سوق الرواية على غير مارواها المحدثون : ثم إن الطعن بالرواية جعلهم يسوقون الرواية بأسلوب لم يعرف عن الناقلين له في الكتب المعتمدة وهي كتب الرواية .

فقد قالوا في رواياتهم بأنه اختلط عليه أمره، ومرة قالوا أنه قال: " إنه يخيل إلي أني أقول الشيء وأفعله ولم أقله ولم أفعله " - (٧٢) وساق الدكتور الخياط الرواية بأسلوب لم يسبقها به أحد من الرواة من قبل، بل ساقها بالمعنى كما فهمه وقصده، وهذا أمر خطير لأنه يوحى للقارئ الذي لم يعرف الرواية أنها هكذا سبقت عن النبي صلى الله عليه وسلم، والأمانة العلمية تقتضي أن يذكرها كما وردت في كتب الحديث ثم يعلق عليها بما شاء، وبخاصة أنه يؤكد بين الفينة والأخرى بقوله "هذا ما يقولونه" "وتقول الرواية" "اختلفت الرواية" وهناك بعض العبارات التي يقصد من ورائها ما يقصد مثل "وأنه كان يخيل إليه أشياء ثم يقول هل فعلت كذا وكذا ؟ " واستيقظ النبي قائلاً: اين هو البئر " (٧٣) وغيرها، بأسلوب فيه إيهام وتشكيك .

والحقيقة أنه بعد جمع الروايات كما مر في المبحث الثاني، لم أجد أحداً من الرواة قال بأنه اختلط عليه أمره، فهذه عبارة خطيرة جداً تدل على أنه قد جن، والعبارات الواردة في الأحاديث كلها لا تحتملها، وكذا في قوله إنني أقول الشيء وأفعله ولم أقله ولم أفعله، فهذه الصيغة أيضاً لم يرد، وما ورد في الروايات ينحصر بثلاث عبارات [يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله، يخيل إليه أنه صنع الشيء وما صنعه] وليس لأي منها التعرض للقول، وإنما الروايات، فعل، صنع، أتى النساء، فيحمل فعل وصنع على إتيان النساء، كما بينت في المبحث الثالث، والذي يظهر أنه نقل الروايات على المعنى، وهنا تكمن خطورة الرواية بالمعنى إذا لم تنقل على أصولها، فربما تخرج الحديث عن مراده ومقصوده وهذا ما حصل .

٣- قالوا بأن هذه الرواية تتعارض مع القرآن الكريم.

وهي عندهم تتعارض مع قوله تعالى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) (٧٤) وقوله (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً) (٧٥) وقوله (إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً) (٧٦) وقوله (ولا يفلح الساحر حيث أتى) (٧٧).

وهو قول المعتزلة فقد قالوا : وهذا لا يجوز على نبي الله صلى الله عليه وسلم، لأن السحر كفر وعمل من أعمال الشيطان فيما يذكرون، فكيف يصل للنبي صلى الله عليه وسلم مع حياطة الله تعالى له، وتسديده إياه بملائكته، وصونه الوحي عن الشيطان، والله تعالى يقول في القرآن (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) وأنتم تزعمون أن الباطل ههنا هو الشيطان، وقال (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً) أي يجعل بين يديه وخلفه رصداً من الملائكة يحفظونه ويصونون الوحي عن أن يدخل فيه الشيطان ما ليس منه (٧٨). ومن قال به أيضاً الجصاص (٧٩) وأبو بكر الأصم (٨٠) والشيخ محمد عبده. (٨١) والدكتور عبدالعزيز الحياط وقلل : (لا سيما وقد قالوا أنه في حال سحره قال بعض أشياء فيها كفر في سورة النجم وأنه مدح الأصنام، ولا أستطيع أن أقبل عن النبي الذي حمل الرسالة ذلك، فكيف يمكن أن يؤخذ قوله إذا كان مسحوراً، ولذلك نفى رواية السحر عن النبي عليه السلام) (٨٢). وسيد قطب (٨٣).

ولمناقشة هذا الكلام لا بد من الرجوع إلى أقوال العلماء وكتب التفسير، ونربط الآيات بما قبلها وما بعدها لنفهمها على مراد الله لها .

١- قال ابن قتيبة: (فإن كانوا إنما أنكروا ذلك لأن الله تعالى لا يجعل للشيطان على النبي صلى الله عليه وسلم سبيلاً ولا على الأنبياء، فقد قرؤوا في كتاب الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض) (٨٤) وكذلك قوله (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) (٨٥) أي لا يقدر الشيطان أن يزيد فيه أولاً ولا آخراً) (٨٦).

٢- واحتجوا بقوله تعالى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد) (٨٧)، قال الطبري: (وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب، أن يقال معناه لا يستطيع ذو باطل يكيده تغييره بكيده، وتبديل شيء من معانيه عما هو به، وذلك هو الإتيان من بين يديه، ولا إلحاق ما ليس منه به وذلك إتيانه من خلفه) (٨٨) فهي دليل على أنه لا تسلط للشياطين على النبي صلى الله عليه وسلم فيما يخص التبليغ، ويوضح هذا الآية التي احتجوا بها أيضاً، وهي في الحقيقة عليهم لا هم وهي التالية .

٣- وقوله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً، إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً) ولا تفهم هذه الآية إلا بما بعدها، قال تعالى (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً) (٨٩) وهذه دلالة أيضاً فيما يخص التبليغ، قال سيد قطب في تفسيرها : (فالرسل الذين يرتضيه الله لتبليغ دعوته، يطلعهم على جانب من غيبه، هو هذا الوحي ؛

موضوعه وطريقته والملائكة الذين يحملونه ومصدره وحفظه في اللوح المحفوظ إلى آخر ما يتعلق بموضوع رسالتهم مما كان في ضمير الغيب لا يعلمه أحد منهم، وفي الوقت ذاته يحيط هؤلاء الرسل بالأرصاء والحراس من الحفظة للحفظ والوقاية، يحومهم من وسوسة الشيطان ونزغ، ومن وسوسة النفس وتمنيها، ومن الضعف البشري في أمر الرسالة ومن النسيان والانحراف، ومن سائر ما يعترض البشر من النقص والضعف، ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم، والله أعلم، ولكن المقصود هو أن يقع منهم البلاغ فيتعلق به علمه في عالم الواقع (٩٠). فالذي يفهم من سياق الآيات بأن ذلك متعلق بالتبليغ، وعلى هذا الأمر لا يمكن أن يعترى الأنبياء نقص أو تأثير في هذه الناحية، وعصمهم من القتل حتى يتم التبليغ أيضاً، أما ما دون هذا فجائز عليهم، ليقع لهم الابتلاء والأجر، وما من نبي إلا وابتلي بالقليل والكثير وتعرض للقتل ومنهم من قتل، وسير الأنبياء في القرآن الكريم شاهدة على ذلك.

٤- أما قوله تعالى (إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً) فقد وردت هذه الآية في سورتي الإسراء والفرقان بقوله تعالى (نحن أعلم بما يستمعون به، إذ يستمعون إليك وهم يخجلون إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً) (٩١) وقوله تعالى (وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً، أو يلقى إليه كثر أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً) (٩٢)، وفي معنى مسحوراً؛ قال الزمخشري: (سحر فغلب على عقله) (٩٣) وقال القرطبي: (أي مطبوعاً قد خبله السحر فاختلط عليه أمره، يقولون ذلك لينفروا عنه الناس) (٩٤). ويذكر المفسرون في تفسير هذه الآيات قصة زعماء قريش، وهم يجدون أنفسهم مدفوعين للاستماع من النبي صلى الله عليه وسلم، من أمثال أبي سفيان بن حرب، وأبي جهل بن هشام، والأحنس بن شريق. (٩٥) فقد اتهموه بالسحر وهم يعلمون حقيقة هذا الكلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، لكنهم لم يجدوا وسيلة لصرف الناس عنه إلا بذلك، لأن الناس بطبيعتها لا تصدق المخبول وتنفر منه لأنها تخاف أن يبطش بها، قال سيد قطب: (ولقد كانت الفطرة تدفعهم إلى التأثر والسمع، والكبرياء تدفعهم عن التسليم والإذعان، فيطلقون التهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يعتذرون بها عن المكابرة والعناد، وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً)، وهذه الكلمة ذاتها تحمل في ثناياها دليل تأثرهم بالقرآن، فهم يستكثرون في داخلهم أن يكون هذا قول بشر، لأنهم يحسون به شيئاً غير بشري، ويحسون ديبه الخفي في مشاعرهم فينسبون قائله إلى السحر، يرجعون إليه هذه الغرابة في قوله، وهذا التميز في حديثه، وهذا التفوق في نظمه، فمحمد إذن لا ينطق عن نفسه، إنما ينطق عن السحر بقوة غير قوة البشر، ولو أنصفوا لقالوا: إنه من عند الله، فلم يمكن أن يقول هذا إنسان، ولا خلق آخر من خلق الله، (انظر كيف ضربوا لك

الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً)، ضربوا لك الأمثال بالمسحورين ولست بمسحور، إنما أنت رسول فضلوا ولم يهتدوا، وحاروا فلم يجدوا طريقاً يسلكونه، لا إلى الهدى ولا إلى تعليل موقفهم المريب (٩٦). ويذكر المفسرون أيضاً قصة الوليد بن المغيرة عندما بعثته قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم فعاد وهو يصف القرآن بقوله: والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلو، وإنه ليحطم ما تحته، فلما اعترضت عليه قريش وقالوا له: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: قف عني حتى أفكر فيه، فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يؤثر، يآثره عن غيره، فزلت (ذري ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالا ممدوداً وبنين شهوداً ومهدت له تمهيداً) (٩٧) (٩٨).

وقد صور القرآن هذه الحالة من التفكير للوليد بن المغيرة، فقال تعالى (إنه فكر وقدر، فقتل كيف قدر، ثم قتل كيف قدر، ثم نظر، ثم عبس وبسر، ثم أدبر واستكبر، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر، إن هذا إلا قول البشر) (٩٩)، إذن هم يبحثون عن قمة لهذا النبي لينفروا الناس عنه، وإن الناس لن يصدقوهم إن قالوا شاعر أو كاهن أو مجنون، قال الرازي: (إن الكفار كانوا يريدون بكونه مسحوراً أنه مجنون أزيل عقله بواسطة السحر فلذلك ترك دينهم، فأما أن يكون مسحوراً بألم يجده في بدنه فذلك مما لا ينكره أحد، وبالحملة ما كان يسلط الله عليه لا شيطاناً ولا إنسياً ولا جنياً يؤذيه في دينه وشرعه ونبوته، فأما الإضرار ببدنه فلا يبعد) (١٠٠).

وقد تبين لنا أيضاً من خلال الروايات التي مرت معنا في المباحث السابقة أنه صلى الله عليه وسلم لم يصل لهذا الحد الذي ادعاه المشركون، ولا يمكن أن يصل إليه النبي صلى الله عليه وسلم، وأن اليهود حاولوا لكنهم لم يفلحوا بذلك فكشف الله سحرهم.

٥- واحتجوا بقول الله تعالى (ولا يفلح الساحر حيث أتى) (١٠١) وهذه الآية حجة عليهم لا حجة لهم، قال الطبري: (ولا يظفر الساحر بسحره بما طلب أين كان) (١٠٢) فلم يفلح اليهود بمرادهم، وهذا ثابت بإقرارهم كما ورد في الروايات "إن يكن نبياً فسيخبر، وإن يك غير ذلك فسوف يذله هذا السحر حتى يذهب عقله" (١٠٣) فنرى بأن اليهود ربما يفهمون النبوة أكثر من بعض العقلايين، فهم على علم إن يكن نبياً لا يمكن أن يصل السحر إلى عقله، وسيخبره الله بذلك وهذا ما حصل، مع أن محمد عبده نفى أن يصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى درجة الجنون والهذيان فقال: (ثم إن نفى السحر عنه لا يستلزم نفى السحر مطلقاً فرمما جاز أن يصيب غيره بالجنون نفسه، ولكن من المحال أن يصيبه لأن الله عصمه منه) (١٠٤).

فـ

٦- أما قول الدكتور الحياط أنه ورد عنه في فترة سحره كلام كفر وهي قصة الغرائق، فلا يوجد هذا في الروايات، وعلى كل فإن حادثة السحر وقعت في المدينة وفي السنة السابعة من البعثة كما مر وما يروى من قصة الغرائق فقد حصلت في مكة كما يروى بعد هجرة الصحابة إلى الحبشة من السنة الخامسة من البعثة أي قبل الهجرة بثماني سنوات (١٠٥). ومع هذا فإن الرواية لم تثبت بسند صحيح حيث نقل ابن كثير عن ابن أبي حاتم أنها لم ترد بأسانيد متصلة وإنما طرقها كلها مرسل (١٠٦) فهل هذا هو نوع من التنفير من الرواية بأسلوب مثل هذا .

وبعد هذا الاستعراض للآيات التي استشهدوا بها وقالوا بأنها متعارضة مع الحديث، يتبين لنا بأنه لا تعارض، ولكنه نوع من توجيه الآيات إلى ما أرادوا، ولا نرى إلا التوافق والبيان .

٤- قالوا بأن الحديث خبر آحاد، وخبر الآحاد لا يؤخذ به في العقائد:

قال الشيخ محمد عبده : (وأما الحديث فعلى فرض صحته هو آحاد، والآحاد لا يؤخذ به في باب العقائد، وعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من تأثير السحر عقيدة من العقائد لا يؤخذ في نفيها عنه إلا باليقين، وقال: علينا أن نفوض الأمر في الحديث ولا نحكمه في عقيدتنا، ونأخذ بنص الكتاب وبديل العقل) (١٠٧) وقال سيد قطب : (وأحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في أمر العقيدة، والمرجع هو القرآن، والتواتر شرط للأخذ بالأحاديث في أصول الاعتقاد، وهذه الروايات ليست من المتواتر) (١٠٨) وهذه دعوى لا دليل عليها، وهي بدعة من البدع تصدى لها العلماء وردوها، وأصحابها إنما أرادوا من وراءها شق السنة النبوية التي لم يعرف أهلها التفريق بين آحادها ومتواترها إلا من الناحية الفنية.

قال الطحاوي : (وجميع ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشرع والبيان كله حق، قلل الشارح : يشير بذلك إلى الرد على الجهمية والمعتزلة والرافضة القائلين بأن الأخبار قسمان : متواتر وآحاد ؛ فالتواتر وإن كان قطعي السند لكنه غير قطعي الدلالة، فإن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين، ولهذا قدحوا في دلالة القرآن على الصفات، قالوا: والآحاد لا تفيد العلم ولا يحتج بها من جهة طريقها ولا من جهة متنها، فسدوا على القلوب معرفة الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأحالوا الناس على قضايا وهمية ومقدمات خيالية سموها قواطع عقلية وبراهين يقينية، قال: وطريق أهل السنة أن لا يعدلوا عن النص الصحيح ولا يعارضوه بمعقول ولا قول فلان). (١٠٩) قال الدكتور عمر الأشقر: أما دعواهم بأن الحديث حديث آحاد، وأحاديث الآحاد لا تقبل في المسائل الاعتقادية، فالجواب : أن الصحيح من أقوال أهل العلم أن الأحاديث الآحاد تقبل في مسائل الاعتقاد كما تقبل في المسائل العلمية، والذين فرقوا بينهما لم يأتوا بدليل يدل على صحة هذا التفريق، والقول بأن الحديث

الآحاد لا يقبل في مسائل الاعتقاد قول محدث، على أن هذا الحديث يفيد العلم لأنه قد احتفت به قرائن رفعت من مرتبة الظن إلى مرتبة العلم، فقد رواه أكثر من واحد من الصحابة، ورواه عنهم علماء أجلاء بلغوا الغاية في الحفظ والعدالة، وله من المتابعات والشواهد ما يجعل قلب العالم يستيقن صحة الحديث، أضف إلى هذا أن الأمة تلقتة بالقبول، ولم يطعن في صحته واحد من علماء الحديث، والأمة لا يمكن أن تجتمع على ضلالة، وحسبنا أن البخاري ومسلم اتفقا على إخراجهما في صحيحيهما (١١٠).

٥- وقالوا الحديث مخالف لأصل العصمة:

قال الشوكاني: (أنكر البعض هذا الحديث، فزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها، وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع). (١١١). وقال سيد قطب: (ولكن هذه الروايات تخالف أصل العصمة النبوية في الفعل والتبليغ، ولا تستقيم مع الاعتقاد بأن كل فعل من أفعاله صلى الله عليه وسلم وكل قول من أقواله سنة وشريعة) (١١٢) وعلى هذا الشيخ المراغي (١١٣). وأما محمد جواد مغنّية قال: (وهذه الرواية يجب طرحها شرعاً وعقلاً، أما عقلاً؛ فلأن النبي المعصوم لا ينطق إلا بالوحي، فيستحيل أن يخيل له أنه يوحى إليه ولا يوحى إليه) (١١٤) ومدار رد الدكتور الحياط للحديث أنه يتناقض مع كمال النبوة، حيث يقول: فالحديث إذاً صحيح ولكنني كمسلم أؤمن بمحمد عليه السلام أنفي هذه الرواية ولا أقبلها، لأن النبي الكامل لا يجوز أن يُسحر، وقال: ولذلك نفى قصة سحر النبي عليه السلام لأننا نرى الكمال لمحمد عليه السلام) (١١٥).

ولا أدري ماذا يقصد بالكمال، هل العصمة؟ أم الكمال الإنساني؟ فإن قصد الكمال الإنساني، فإن ما حصل من حادثة السحر هو نوع من الابتلاء داخل فيه وليس بخارج عنه، قال ابن القيم: (إنه سبحانه يحب من عباده تكميل عبادتهم على السراء والضراء وفي حال العافية والبلاء، وفي حال إدائهم والإدالة عليهم، فله سبحانه على العباد في كلتا الحالتين عبودية بمقتضى لكل الحال لا تحصل إلا بها، ولا يستقيم القلب بدونها، كما لا تستقيم الأبدان إلا بالحر والبرد والجوع والعطش والتعب والنصب وأضدادها، فتلك المحن والبلايا شرط في حصول الكمال الإنساني، والاستقامة المطلوبة منه ووجود الملزوم بدون لازمه ممتنع) (١١٦) هذا هو الكمال الإنساني وليس كما قال.

وإن قصد العصمة فإن العصمة لغة: الحفظ والحماية، واصطلاحاً: هي لطف من الله تعالى يحمله على فعل الخير ويزجره عن فعل الشر مع بقاء الاختيار تحقيقاً للابتلاء (١١٧). فعلا المعنيين لا يخرج الأنبياء عن الابتلاء، وعصمة الأنبياء هي عدم وقوعهم في الخطأ فيما يخص التبليغ، وهذا واضح أيضاً في الآية التي استشهدوا بها كدليل لهم وهي قوله تعالى (والله يعصمك من الناس)، وهي جزء من آية، وحتى نفهم

المقصود منها لا بد من ذكرها كاملة، قال تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين) (١١٨).

قال ابن كثير : (أي بلغ أنت رسالي، وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك ومظفرك بهم، فلا تخف ولا تحزن فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك، وقال : وكلما هم أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء كاده الله ورد كيده عليه، كما كاده اليهود بالسحر فحماه الله منهم، وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء، ولما سمى اليهود في ذراع تلك الشاة بخير أعلمه الله وحماه منهم) (١١٩).

قال ابن القيم : (المعوذ بها عصمة النفس من القتل لا عصمة من أذاهم بالكلية، بل أبقي الله تعالى لرسوله ثواب ذلك الأذى، ولأتمته حسن التأسي، إذا أؤذي أحدهم نظر إلى ما جرى عليه صلى الله عليه وسلم فتأسى وصبر، وللمؤمنين الأشقياء الأخذة الرابعة) (١٢٠).

قال الشوكاني : (وهذا الذي ادعاه هؤلاء باطل، لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ، والمعجزة شاهدة بذلك، وتجوز ما قام الدليل بخلافه باطل) (١٢١).

إذن فقد أمره الله بتبليغ رسالته والصدع بها مع عدم الخوف من الأعداء، وضمن له عدم وصولهم إليه بأي نوع من الأذى يمنع من التبليغ، وعلى رأس ذلك القتل، أما ما دون ذلك فهو جائز عليه لوقوعه في دائرة الابتلاء، وما حصل له من المنع من إتيان النساء بالسحر لا يمنع من التبليغ، فهو داخل بالابتلاء، وهذه الآية دليل على أن السحر لم يبلغ فيه مبلغه الذي أرادوا، وظننه بل قرره منكروا الحديث، وأن ما حصل له لا علاقة له بالتبليغ أبداً لأن الله عاصمه من ذلك، ولا يمكن أن يصل السحر فيه إلى حد يذهب عقله.

وأما حديث سُمِّه صلى الله عليه وسلم، فقد قال : (يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير، فهذا أوان انقطاع أهري من ذلك السم) (١٢٢) وهو عليه الصلاة والسلام لم يُعصم من المرض، وإنما القتل، وقد توفي عليه الصلاة والسلام بمرض الحمى ومن أثر السم في خيره، كما جاء في الرواية السابقة، بل إن ابن سعد قال : توفي النبي صلى الله عليه وسلم شهيداً. (١٢٣)

٦- وذكروا من أسباب رد الحديث أن سورتي الفلق والناس نزلتا في مكة وما ذكروا من حادثة السحر إنما هي في المدينة :

قال سيد قطب : (فضلاً على أن نزول هاتين السورتين نزلتا في مكة على الراجح، مما يوهن أساس الروايات الأخرى) (١٢٤) وقال المراغي : (إلا أن هذه السورة مكية، في قول عطاء والحسن وجابر، وما

يزعمونه من السحر إنما وقع بالمدينة، فهذا مما يضعف الاحتجاج بالحديث ويضعف التسليم بصحته (١٢٥).

إلا أن المتتبع لكتب التفسير يجد بأن أغلب المفسرين يقولون بأنها مدنية؛ قال ابن حجر : (وفي ذلك نزلت المعوذتان -أي في حادثة السحر- هذا ما ذكره الثعلبي في تفسيره من حديث ابن عباس تعليقاً، ومن حديث عائشة أيضاً تعليقاً، وطريق عائشة صحيح، أخرجه سفيان ابن عيينة في تفسيره من رواية أبي عبيد الله عنه عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة فذكر الحديث، وفيه نزلت قل أعوذ برب الفلق، ثم قال : وقد ذكر السهيلي أن عقد السحر كانت إحدى عشرة عقدة فناسب أن يكون عدد المعوذتين إحدى عشرة آية فالنخلت بكل آية عقدة (١٢٦). ومن المفسرين ابن عطية في المحرر الوجيز (١٢٧) والواحدي إذ قال: (نزلت هذه السورة والتي بعدها لما سحر لبيد بن الأعصم رسول الله صلى الله عليه وسلم) (١٢٨) وقال ابن الجوزي فيهما قولان : (أحدهما: مدنية، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قتادة في آخرين، والثاني: مكية، رواه كريب عن ابن عباس، وبه قال الحسن وعطاء وعكرمة وجابر، والأول أصح، ويدل عليه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر وهو مع عائشة، فنزلت عليه المعوذتان) (١٢٩). وقال الخازن: (مدنية، وقيل: مكية، والأول أصح) (١٣٠) والبيضاوي (١٣١)، وأبو السعود (١٣٢) وقال الألويسي: مكية، في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر، ورواية كريب عن ابن عباس مدنية، في قول ابن عباس في رواية أبي صالح وقاتدة وجماعة وهو الصحيح، لأن سبب نزولها سحر اليهود، وهم إنما سحروه بالمدينة كما جاء في الصحاح، فلا يلتفت لمن صحح كونها مكية (١٣٣). والزركشي (١٣٤) والسيوطي (١٣٥).

الخلاصة

- وبعد هذه الجولة المباركة في رياض النصوص النبوية، وأقوال العلماء في هذه المسألة تبين لنا ما يلي :
- ١- أن حادثة سحر النبي صلى الله عليه وسلم ثابتة بالنصوص الصحيحة التي لا يرقى الشك إليها، فقد وردت في أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى، وأنه لا تصادم بينها وبين ما أثبتته القرآن الكريم من إقام المشركين له بالسحر، ولا تصادم مع العصمة .
 - ٢- أن السحر الذي وقع له إنما هو حبسه عن النساء، فلا يستطيع أن يجامع زوجاته، ومثل هذا النوع من السحر لا يتطرق للعقل، وهذا واضح بين من خلال الروايات التي أثبتت سلامة العقل، وعدم ورود ما ينافي الوحي، فالعصمة تقتضي سلامة النقل عن الوحي والتبليغ، وأنه لم يثبت عنه ما ينافي الوحي
 - ٣- أن الذين ردوا الحديث لم يكونوا محققين في دعاويهم، وأن منطلقهم متعددة، فمنهم من ردها منطلقاً من إنكار السحر أصلاً، ومنهم من باب تنزيه النبوة والشرع عن ذلك، وربما يكون عند البعض نوايا خفية لم يظهروها وهي الطعن بالصحيحين، والاستخفاف بالأحاديث الصحيحة، وأن يصبح ردها وعدم الإقتناع بها أمراً طبيعياً يجب أن لا يستغرب، وهذا أمر خطير جداً .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الخواشي

١- البخاري؛ محمد بن إسماعيل ٢٥٦هـ، الجامع الصحيح، ت د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط ٣، ١٩٨٧م، (٢١٧٦/٥)، ألبسني؛ محمد بن حبان، الصحيح بترتيب ابن بليان، ت شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٩٣م (١١٢/١٣)، أبو يعلى الموصلي؛ أحمد بن علي ٣٠٧هـ، المسندت حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط ١، ١٩٨٤م (١٢/١٠)، الشيباني؛ أحمد بن حنبل ٢٤١هـ، المسند، مؤسسة قرطبة، مصر، (٦٢/٥٩/١٦/٢).

٢- ابن منظور؛ محمد بن مكرم ٧١١هـ، لسان العرب، مكتب تحقيق التراث، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٩٣م (١٩١/١٨٩/٦).

٣- ابن عابدين، الحاشية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٩٦٦م (٤٤/١).

٤- سورة طه، آية ٦٦.

٥- سورة الأعراف، آية ١١٦.

٦- سورة الأعراف، آية ١١٦.

٧- القرطبي؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد ٦٧١هـ، الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت (٤٦/٢).

٨- العسقلاني؛ أحمد بن حجر ٨٥٢هـ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ت محمد فؤاد عبد الباقى

ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، (٢٢٢/١٠)، وانظر ابن القيم؛ محمد بن

أبي بكر، التفسير القيم، ت محمد حامد الفقى، لجنة التراث العربى، بيروت، ص ٥٧١.

٩- المقدسى؛ عبد الله بن أحمد بن قدامة ٦٢٠هـ، المغنى، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ، (٣٣/٩).

١٠- العسقلاني، فتح الباري (٢٢٢/١٠).

١١- البخاري، الجامع الصحيح (٢١٧٥/٥).

١٢- البخاري، الجامع الصحيح (٦٠/٤) الشافعى؛ محمد بن إدريس ٢٠٤هـ، المسند، دار الكتب

العلمية، بيروت (٣٨٢/٢)، الشافعى، الأم، ت محمد زهرى النجار، دار المعرفة، بيروت،

ط ٢، ١٣٩٣م (٢٥٦/١)، الأصبهاني؛ إسماعيل بن محمد ٥٣٥هـ، دلائل النبوة، ت محمد محمد

الجداد، دار طيبة الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ، (١٧٠/٢).

- ١٣- البخاري، الجامع الصحيح (٢١٧٤/٥) (٢٢٠/٢)، ابن حبان، الصحيح بترتيب ابن بلبان (٥٤٧/١٤)، ابن راهويه؛ إسحاق بن إبراهيم ٢٣٨هـ، المسند، ت د. عبد الغفور عبدالحق البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ط ١، ١٩٩١م (٢٢٩/٢) والنسائي؛ أحمد بن شعيب ٣٠٣هـ، السنن الكبرى، ت د. عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩١م (٣٨٠/٤).
- ١٤- البخاري، الجامع الصحيح (٢١٧٦/٥)، الشيباني، المسند (٦٣/٦)، النيسابوري؛ مسلم بن الحجاج ٢٦١هـ، الصحيح، ت محمد فؤاد عبدالباقى، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٧٢١/٤)، أبو يعلى الموصلي، المسند (٢٩٠/٨).
- ١٥- النيسابوري، الصحيح (١٧١٩/٤) (١٧٨/١٤)، الشيباني، المسند (٥٧/٦)، ابن حبان، الصحيح (٥٤٥/١٤)، ابن أبي شيبه؛ أبو بكر عبد الله بن محمد ٢٣٥هـ، المصنف في الأحاديث والآثار، ت كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ (٤١/٥)، القزويني؛ محمد بن يزيد ٢٧٥هـ، السنن، ت محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت (١١٧٣/٢)، الطبري؛ محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ (٤٥٩/١).
- ١٦- البخاري، الجامع الصحيح (١١٩٢/٣) معلقاً، العسقلاني، تعليق التعليق على صحيح البخاري، ت سعيد عبدالرحمن القرقي، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، ط ١، ١٤٠٥هـ (٥١٢/٣).
- ١٧- البخاري، الجامع الصحيح (٢٣٧٤/٥)، البيهقي؛ أحمد بن الحسين ٤٥٨هـ، ت محمد عبدالقادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٤م (١٣٥/٨)، النسائي، المجتبى على السنن، ت عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ٢، ١٩٨٦م (١١٢/٧) العسقلاني، تعليق التعليق (١٤٩/٥).
- ١٨- الشيباني، المسند (٩٦/٦)، ابن سعد؛ محمد ٢٣٠هـ، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت (١٩٦/٢).
- ١٩- البخاري، الجامع الصحيح (١١٥٩/٣)، الشيباني، المسند (٥٠/٦)، الطبري، جامع البيان (٤٥٩/١).
- ٢٠- الشيباني، المسند (٦٣/٦).

- ٢١- الطبراني؛ سليمان بن أحمد ٣٦٠هـ، المعجم الأوسط، ت طارق بن عوض الله بن محمد، عبدالحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ، (١٠١/٦).
- ٢٢- الكسي؛ عبد بن حميد، المسند، ت صبحي السامرائي، محمود محمد الصعيدي، مكتبة السنة، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م، ص١١٥.
- ٢٣- الشيباني، المسند (٣٦٧/٤).
- ٢٤- النسائي، السنن الكبرى (٣٠٧/٢)، النسائي، المجتبى (١١٢/٧).
- ٢٥- والمصنف لابن أبي شيبة (٤٠/٥) والطبراني؛ أحمد بن سليمان ٣٦٠هـ، المعجم الكبير، ت حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٩٨٣م (١٨٠/٥).
- ٢٦- ابن سعد، الطبقات الكبرى (١٩٩/٢).
- ٢٧- انظر، الحنبلي، ابن رجب ٧٩٥هـ، شرح علل الترمذي، ت د. همام سعيد، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٩٨٧م (٧٢٠-٧١٥/٢).
- ٢٨- ابن سعد، الطبقات الكبرى (١٩٩-١٩٨/٢).
- ٢٩- العسقلاني؛ أحمد بن علي بن حجر ٨٥٢هـ، تقريب التهذيب، دار نشر الكتب الإسلامية، باكستان، ط١، ١٩٧٣م ص١٥٥.
- ٣٠- العسقلاني، تهذيب التهذيب، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٢٥هـ (٤٥٤/٤).
- ٣١- العسقلاني، تقريب التهذيب ص٥٩.
- ٣٢- العسقلاني، فتح الباري (٢٢٥/١٠) وتلخيص الجبر (٤٠/٤).
- ٣٣- الطبراني؛ سليمان بن أحمد ٣٦٠هـ، الدعاء، ت مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ ص٣٣٥.
- ٣٤- الأزدي؛ معمر بن راشد ١٥١هـ، الجامع، الملحق بمصنف عبد الرزاق، ت حبيب الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ (١٤/١١).
- ٣٥- الطبري، جامع التأويل (٤٦٠/١).
- ٣٦- ابن سعد، الطبقات الكبرى (١٩٨/٢).
- ٣٧- العسقلاني؛ أحمد بن علي ٨٥٢هـ، تقريب التهذيب، ت محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط١، ١٩٨٦م (٦١٦/١).
- ٣٨- العسقلاني، تقريب التهذيب (٤٩٠/١).

- ٣٩- الأزدي، الجامع (١٤/١١).
- ٤٠- العسقلاني، تقريب التهذيب ص ٣٨٠.
- ٤١- الذهبي، أحمد بن عثمان ٧٤٨هـ، سير أعلام النبلاء، ت شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٩، ١٤١٣هـ (٤/٤٤٢).
- ٤٢- الذهبي، تذكرة الحفاظ، ت عبد الرحمن المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٧٤هـ (١/٧٥).
- ٤٣- ابن سعد، الطبقات الكبرى (٢/١٩٨).
- ٤٤- العسقلاني، تقريب التهذيب (١/١٠٢).
- ٤٥- ابن القيم؛ محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧٠م (٣/١٢٢).
- ٤٦- قال ابن القيم: (والسحر الذي أصابه كان مرضاً من الأمراض عارضاً شفاه الله منه، ولا نقص في ذلك ولا عيب بوجه ما، فإن المرض يجوز على الأنبياء، وكذلك الإغماء فقد أغمي عليه صلى الله عليه وسلم في مرضه، ووقع حين انفكت قدمه وجُحِش شقه، وهذا من البلاء الذي يزيده الله به رفعة في درجاته، ونيل كرامته وأشد الناس بلاء الأنبياء، فابتلوا من أهمهم بما ابتلوا به من القتل والضرب والشتم والحبس، فليس يبدع أن يتلى النبي صلى الله عليه وسلم من بعض أعدائه بنوع من السحر، كما ابتلي بالذي رماه فشجه، وابتلي بالذي ألقى على ظهره السلا وهو ساجد وغير ذلك، فلا نقص عليهم ولا عار في ذلك بل هذا من كمالهم وعلو درجاتهم عند الله) التفسير القيم، ص ٥٦٧.
- ٤٧- العسقلاني، فتح الباري (١٠/٢٢٧).
- ٤٨- الرازي؛ محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، دار الفكر، طبعة حديثة ومنقحة، ١٩٨٧م، ص ١٩٦.
- ٤٩- العسقلاني، فتح الباري (١٠/٢٢٧).
- ٥٠- المصدر السابق.
- ٥١- المصدر السابق.
- ٥٢- الحامد؛ محمد، ردود على أباطيل، حققه وراجعه عبد الله إبراهيم الأنصاري، طبع على نفقة الشؤون الدينية بدولة قطر ص ٤١٨.
- ٥٣- الطعيمي، محبي الدين، تحذير الناس أجمعين من سحر إبليس والشياطين، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٩٠م ص ٤٨-٤٩ بتصرف.

- ٥٤- سورة عبس، آية ١-١٠.
- ٥٥- سورة الأنفال، آية ٦٧.
- ٥٦- سورة الحاقة، آية ٤٤-٤٦.
- ٥٧- سورة الحجر، آية ٩.
- ٥٨- الأزدي، الجامع ١١/١٣.
- ٥٩- العسقلاني، فتح الباري ١٠/٢٢٧.
- ٦٠- قال القاضي عياض: (يحتمل أن يكون المراد بالتخيّل المذكور أنه يظهر له من نشاطه ما ألفه من سابق عاداته من الاقتدار على الوطء، فإذا دنا من المرأة فتر عن ذلك، كما هو شأن المعقود). المصدر السابق.
- ٦١- وقال ابن القيم: (ولم يكن يعتقد صحة ما يخيل إليه من إتيان النساء، بل يعلم أنه خيال لا حقيقة له، ومثل هذا قد يحدث من بعض الأمراض والله أعلم). زاد المعاد (٤/١٢٦).
- ٦٢- قال ابن قدامة المقدسي: (وقد اشتهر بين الناس وجود عقد الرجل عن امرأته حين يتزوجها فلا يقدر على إتيانها، وحل عقده فيقدر عليها بعد عجزه عنها، حتى صار متواتراً لا يمكن جحده، وروي من أخبار السحرة ما لا يكاد يمكن التواطؤ على الكذب فيه). المغني (٩/٣٤).
- ٦٣- قال الشوكاني: (وهو ما يعرض للبشر، فغير بعيد أن يخيل إليه أنه وطئ زوجاته وليس بواطئ، وقد يتخيّل الإنسان فعل هذا في المنام فلا يبعد تخيله في اليقظة ولا حقيقة له، وقيل إنه يخيل إليه أنه فعله وما فعله، ولكن لا يعتقد صحة ما تخيله، فتكون اعتقاداته على السداد، وقال: ومعنى يظن أنه يأتي ويخيّل إليه: أي يظهر له من نشاطه ومتقدم عاداته القدرة عليهن، فإذا دنا منهن أخذه السحر فلم يأقن ولم يتمكن من ذلك، قال: وكل ذلك محمول على التخيّل بالبصر لا بخلل تطرق إلى العقل، وليس في ذلك ما يدخل مساً على الرسالة ولا طعناً لأهل الضلالة). محمد بن علي ١٢٥٥هـ، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م (٧/٣٦٥).
- ٦٤- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك ٢١٣هـ، السيرة النبوية، تعليق وضبط طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، طبعة جديدة ومنقحة (٣/٢١١).
- ٦٥- العسقلاني، فتح الباري ١٠/٢٢٦.
- ٦٦- الدينوري؛ ابن قتيبة ٢٧٦هـ، تأويل مختلف الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، ص ١٢٠.

٦٧- الجصاص؛ أبو بكر أحمد بن علي ٣٧٠هـ، أحكام القرآن، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٩٩٤م (١/٥٨-٥٩).

٦٨- عبده؛ محمد، تفسير جزء عم، مطبعة مصر، ١٣٤١هـ ص ١٨١.

٦٩- الخياط؛ الدكتور عبدالعزيز، مقال في صحيفة اللواء، العددان ١٠٢٩، ١٠٣٠، السنة الحادية والعشرون، تاريخ ٤ شعبان ١٤١٣هـ، الموافق ٢٧ كانون الثاني ١٩٩٣م.

٧٠- ابن القيم، التفسير القيم ص ٥٦٦.

٧١- الدينوري، تأويل مختلف الحديث، ص ١٢١.

٧٢- الجصاص، أحكام القرآن، ١/٥٩.

٧٣- الخياط، صحيفة اللواء، العددان ١٠٢٩، ١٠٣٠.

٧٤- سورة فصلت، آية ٤٢.

٧٥- سورة الجن، آية ٢٦.

٧٦- سورة الاسراء، آية ٤٧، وسورة الفرقان، آية ٨.

٧٧- سورة طه، آية ٦٩.

٧٨- الدينوري، تأويل مختلف الحديث، ص ١٢٠.

٧٩- الجصاص، أحكام القرآن، (١/٥٨).

٨٠- القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م، (١٧/٢٠٤).

٨١- قال محمد عبده: (ولا يخفى أن تأثير السحر في نفسه عليه السلام يصل به الأمر إلى أن يظن أنه يفعل شيئاً وهو لا يفعله، ليس من قبيل تأثير الأمراض في الأبدان، ولا من قبيل عروض السهو والنسيان في بعض الأمور العادية، بل هو ماس بالعقل آخذ بالروح وهما مما يصدق قول المشركين فيه "إن تبعون إلا رجلاً مسحوراً" وليس المسحور عندهم إلا من حولط في عقله، وخيل له أن شيئاً يقع وهو لا يقع، فيخيل له أنه يوحى إليه ولا يوحى إليه، وقال: والذي يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به، وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم صلى الله عليه وسلم فهو الذي يجب الاعتقاد بما يثبت، وعدم الاعتقاد بما ينفيه، وقد جاء بنفي السحر عنه عليه السلام، حيث نسب القول بإثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه ووبخهم على زعمهم هذا، فإذا هو ليس بمسحور قطعاً) تفسير جزء عم ١٨٢.

٨٢- الخياط، صحيفة اللواء العددان، ١٠٢٩، ١٠٣٠.

٨٣- قال سيد قطب: (كما أنها تصطدم بنفي القرآن عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه مسحور، وتكذيب المشركين فيما كانوا يدعونه من هذا الإفك.) في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٧، ١٩٧١، م (٧١٠/٨).

٨٤- سورة الحج، آية ٥٢.

٨٥- سورة فصلت، آية ٤٣.

٨٦- الدينوري، تأويل مختلف الحديث، ص ١٢٢.

٨٧- سورة فصلت، آية ٤٣.

٨٨- الطبري، جامع البيان (٢٤/ ١٢٥).

٨٩- سورة الجن آية ٢٦ - ٢٨.

٩٠- قطب، في ظلال القرآن (٨/ ٣٣٧).

٩١- سورة الإسراء آية ٤٧.

٩٢- سورة الفرقان آية ٨.

٩٣- الزمخشري؛ محمود بن عمر ٥٣٨هـ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر (٨٣/٣).

٩٤- القرطبي؛ أبو عبدالله محمد بن أحمد ٦٧١هـ، الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، (٧٢٢/١٠).

٩٥- فقد ذكروا أنهم خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بالليل في بيته فأخذ كل واحد منهم مجلساً يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا حتى إذا جمعتهم الطريق تلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو راكم بعض سفهائكم لأوقعتهم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا، ولكن هذا الفعل تكرر منهم على ثلاث ليال متوالية حتى قال بعضهم لبعض لا نرح حتى نتعاهد ألا نعود، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا، فلما أصبح الأحنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان بن حرب في بيته فقال أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها، قال الأحنس: وأنا والذي حلقت به، قال: ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: ماذا سمعت؟ قال: تازعنا نحن وبني عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجأنا على الركب وكنا

- كفرسي رهان، قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمضى ندرك هذه، والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدق، قال فقام عنه الأخنس وتركه.
- انظر ابن كثير؛ أبو الفداء إسماعيل ٧٧٤هـ، تفسير القرآن العظيم، قدم له د. يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٩٨٦م (٣/٤٧-٤٨).
- ٩٦- قطب، في ظلال القرآن (٣٣٤/٥).
- ٩٧- سورة المدثر آية ١١-١٣.
- ٩٨- الحاكم؛ محمد بن عبد الله، المستدرک على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٠م (٢/٥٥٠-٥٥١) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
- ٩٩- سورة المدثر آية ١٨-٢٥.
- ١٠٠- الرازي، ضياء الدين عمر ٦٠٤هـ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م (١٨٩/١٦).
- ١٠١- سورة طه، آية ٦٩.
- ١٠٢- الطبري، جامع البيان (١٨٦/١٦).
- ١٠٣- انظر رواية ابن سعد السابقة في المبحث الثاني تحت سابقاً.
- ١٠٤- عبده، محمد، تفسير جزء عم ص ١٨٢.
- ١٠٥- انظر في سنة الهجرة ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد (٤٩/٢)، وانظر في قصة الغرائق، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، ١٤٠١هـ (٣/٢٣٠) وقال: وكلها من طرق مرسل، ولم أرها مسندة من وجه صحيح، والله أعلم.
- ١٠٦- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢/٢٣٠).
- ١٠٧- عبده، محمد، تفسير جزء عم ص ١٨٣.
- ١٠٨- قطب، في ظلال القرآن (٧١٠/٨).
- ١٠٩- ابن أبي العز الحنفي؛ علي بن علي بن محمد ٧٩٣هـ، شرح العقيدة الطحاوية، ت جماعة من العلماء وتخریج محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٤، ١٣٩١هـ، ص ٣٩٨-٣٩٩.

- ١١٠- الأشقر؛ الدكتور عمر سليمان، عالم السحر والشعوذة، دار النفائس، الأردن ط٢، ١٩٧٧م، ص١٨٣.
- ١١١- الشوكاني، نيل الأوطار (٣٦٥/٧).
- ١١٢- قطب، في ظلال القرآن (٧١٠/٨).
- ١١٣- المراغي؛ أحمد مصطفى، تفسير المراغي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط٣، ١٩٧٤م، (٢٦٨/٣٠).
- ١١٤- مغنية؛ محمد جواد، التفسير الكاشف، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨١م ٦٢٥/٧.
- ١١٥- صحيفة اللواء، أسبوعية، العددان ١٠٢٩، ١٠٣٠.
- ١١٦- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ت محمد حامد الفقي، دارالمعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٧٥م (١٩٠/٢).
- ١١٧- الدوري؛ أ.د قحطان عبد الرحمن و أ.د رشدي محمد عليان، أصول الدين الإسلامي دار الفكر، الأردن، ط١، ١٩٩٦م، ص٢١٧.
- ١١٨- سورة المائدة، آية ٦٧.
- ١١٩- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٨٢-٨١/٢).
- ١٢٠- ابن القيم، بدائع الفوائد، ت هشام عبدالعزيز عطا وآخرون، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٩٩٦م (٧٢٨/٣).
- ١٢١- الشوكاني، نيل الأوطار (٣٦٥/٧).
- ١٢٢- البخاري، الجامع الصحيح (١٦١١/٤)، الدارمي، عبدالله بن عبد الرحمن ٢٥٥هـ، السنن، ت فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، (٤٦/١)، السجستاني، سليمان بن الأشعث ٢٧٥هـ، السنن، ت محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر (١٧٤/٤).
- ١٢٣- ابن سعد، الطبقات الكبرى (٢٠٢/٢) (٣١٤/٨).
- ١٢٤- قطب، في ظلال القرآن (٧١٠/٨).
- ١٢٥- المراغي، تفسير المراغي (٢٦٨/٣٠).
- ١٢٦- العسقلاني، تلخيص الحبير (٤٠/٤).
- ١٢٧- ابن عطية؛ أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي ٥٤٦هـ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت عبدالسلام عبدالشافى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م (٥٣٨/٥).

- ١٢٨- الواحدي ؛ علي بن أحمد النيسابوري ٤٦٨هـ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت صفوان عدنان داوودي، دار القلم والدار الشامية، بيروت ودمشق، ط١، ١٤١٥هـ، (١٢٤٢/٢) والواحدي، أسباب النزول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢ ١٩٩١م، ص٢٦٣.
- ١٢٩- ابن الجوزي؛ عبدالرحمن بن علي ٥٩٧هـ، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ (٢٧٠/٩).
- ١٣٠- الخازن ؛ علي بن محمد بن إبراهيم ٧٢٥هـ، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الفكر (٤٢٨/٤).
- ١٣١- اليبضاوي ؛ أبو عمر بن محمد الشيرازي ٧٩١هـ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م (٥٥١/٥).
- ١٣٢- أبو السعود؛ محمد بن محمد العمادي ٩٥١هـ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٩٩٤م (٢١٥/٩).
- ١٣٣- الألوسي؛ شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م (٤٩٨/١٦).
- ١٣٤- الزركشي ؛ محمد بن بهادر ٧٩٤هـ، البرهان في علوم القرآن، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ (٢٥/١).
- ١٣٥- السيوطي ؛ عبدالرحمن بن أبي بكر ٩١١هـ، لباب النقول في أسباب النزول ، دار إحياء العلوم، بيروت ص٢٣٨.